في بوتقة المقاومة المنظمة واصرارهم على مواصلة النضال الثوري ، يجعلهم يؤدون وظائف يسارية ثورية . وهكذا فعندما نقول بان المقاومة يسار وطني ، فاننا لا نرمي من وراء ذلك الى تمييع معايير اليسار ، كما لا نريد ان نضفي شرف الانتساب الى اليسار على الذين لا يزالون في مواقع فكرية متخلفة عن انضاج المفاهيم الثورية الجذرية . اننا نقول ان كل من هو منضبط بمسيرة التحرير الفلسطينية هو بالضرورة في موقع يساري . ان معركة التحرر الوطني الفلسطيني ليست موقفا واحدا ولا تخوض نضالا بسيطا بل نضالا معقدا متعدد الاشكال ، متنوع المظاهر . وبالتالي فان استمرارية المقاومة رهن بتوفر وعي متطور يستوعب هذا التنوع وهذا التعقيد ، وان استمرار الالتزام بالمقاومة هو تدرج نحو تعميق الوضع اليساري لها .

وبالمقابل ، فان الذين يريدون من وراء قولهم بأن المقاومة حركة للتحرر الوطني اخراج المذهبيين اليساريين الذين يؤمنون بالمضمون الطبقي للنضال الثوري ووصمهم بأنهم شاذون عن مرحلة التحرر الوطني ، انما يفسرون معنى مرحلة التحرر الوطني بمفاهيم متخلفة من حيث انهم لا يدركون نوعية التحديات الامبريالية التي تمثلها اسرائيل اغتصابا وعدوانا واحتلالا واهدافا ، ولا يدركون معنى الامبريالية الحديثة التي لا تمانع في تقديم بعض التنازلات التي تؤدي الى استقلال وسيادة شكليين مقابل تمسكها بالمقومات الفعلية للاستقلال . من هنا فلو سلمنا بأن حركة التحرر الوطني الفلسطيني لا زالت في مراحلها الاولى ، الا ان الاستعمار الذي تواجهه حركة التحرر الوطني ليس في مراحله الاولى بل في اعلى مراحله . يستتبع هذا التقييم ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني تتخذ أشكالا طبقية متقدمة عن حركات التحرر الافرو ـ آسيوية في الاربعينات والخمسينات او ما قبل ذلك . وهكذا عندما نقول ان التيار العام هو يسار وطني ، فانما نعني بذلك بأن اليسار فيه متقدم من حيث حتمية تضمين المفهوم الطبقي في النضال التحرري الوطني الفلسطيني . وما دامت حركة التحرير الفلسطينية ، بطبيعة نضالها ومواقعها وخصومها ، مضطرة الى استقبال افكار يسارية اكثر تقدما ، فان فصائل المقاومة التي هي يسارية مذهبيا الى جانب كونها جزءا من اليسار الوطني ، تبقى الاستثناء المتقدم في هذا اليسار . ان الفصائل اليسارية المذهبية هي حاجة فلسطينية دون ان يعني ذلك بالضرورة القبول بكافة صياغاتها المذهبية . ان هذه الفصائل المذهبية تؤدي وظائف تصحيحية اساسية فهي تبقي المقاومة اجمالا بعيدة عن الجمود او التقوقع السياسي شريطة ان لا تتقوقع الفصائل اليسارية نفسها وتتجمد مذهبيا. ان بامكان هذه الفصائل اليسارية المذهبية ان تمارس نفوذا مذهبيا اذا لم تطرح مذهبيتها من مواقع التزمت العقائدي ، اذ ان التزمت العقائدي عند الفصائل الاصغر يؤدي الى تعصب تنظيمي عند الفصائل الاكبر ، بينما تؤدي المرونة المذهبية الى تغذية نزعات الانفتاح في التيار العام . ان المرونة في ايصال المواقف الصلبة تحول دون الميوعة التي يمكن ان تسببها رواسب معينة في حركة المقاومة . وتتحقق هذه المرونة بالمعادلة الوحدوية بين فصائل المقاومة اذا تخلت فصائل اليسار المذهبي عن الادعاء بأنها هي وحدها يسار المقاومة وبالتالي فان لها حق الوصاية الفكرية لأن كل من هو خارج أطارها يميني بالضرورة . ان هذا القول مرفوض علميا وثوريا لان ليس هناك في الواقع الفلسطيني الثوري مكان لليمين .

لكن الوحدة في الوقت الذي ترفض فيه الوصاية الفكرية للفصائل اليسارية المذهبية ، فانها لا تعني وصاية تنظيمية او سياسية تمكن الفصيل الاكبر من اعطاء مدلول آلي للاكثرية . فالثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة بحاجة الى قدرة لاستنباط الحقائق ووضعها في احجامها الحقيقية حتى لا يتغلب الكم على الكيف وحتى لا يتصور الكيف بأنه محتكر للكيف . ليس هناك فرز كامل في المقاومة الفلسطينية بين يسار مذهبي ويسار غير